مركز الفيض العلمي
لاستطلاع الرأي العام
والدراسات المجتمعية

Al-faydh Scientific center
for opinion polling and
community studies

جماليات توظيف الثقافة والفنون في مواجهة الغزو الثقافي والقوة الناعمة

أ.د. عبدالرضا جاسم حمزة

مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

آيار 2024

00964- 7710122232
Alfaidcenter2011@gmail.com
العراق - بغداد - الكرادة

مقدمة

يعد مفهوما الاتصال والتواصل أحد أهم قضايا الفن منذ نشأته الأولى والى الآن ، إذ إن فعالية الفن تتمركز في جوهر انتمائه الى الشعب واهتماماته وابداعاته ، ولأن الثقافة تمثل ذاكرة الشعب وابداعه فكان لا بد أن يكون لها حضورًا واضحا في التجربة الفنية ، وتعد الفنون بشكل عام أكثر ارتباطاً ووجوداً واستمرارية ونجاح من خلال تبنيها ومراعاتها لذلك المنطق كونها أكثر حرصاً للاتصال بالثقافة المحلية واستلهام معانيها ومادتها المتغيرة في ظاهرها الشكلي تبعاً لطبيعة المكان والزمان تكونت فيه ، وتحركها ديناميكية الانفتاح والانفلات ضمن حركة من الداخل ونحو الخارج في آن واحد.

العالم الرقمي وتشكيل انسان جديد

قد أصبحت اللغة البصرية بوجود التكنولوجية الرقمية أكثر تأثيرا بالإنسان وأقوى تحكما بذاكرته التي تترسب فيها الصور، فالصورة لم تعد خطوطًا وأبعادًا وألوانا ، بل هي حاملة لقيم وافدة تتحكم بثقافة الانسان ومختزلة لعالمه وأفكاره ، بحيث أصبح العالم مجرد صورة تنقل عن صورة وهذه الصورة اصبحت جامعة لكل العمليات والصور ولها صلة ومرجعيات بأصل محدد مقترن بواقع وهمي بعيد عن عوالم وهموم المتلقي مما يعني ذلك اننا نعيش في عالم فوق الواعي عالم تكنولوجي افتراضي يعتمد الخيال لإنتاج صور ولوحات فنية تتحرك داخلها الشخصيات الافتراضية ، وغالبا ما تتحول هذه العوالم الى أعمال سينمائية ودرامية مما يؤكد تأثير الصورة في نقل الخطابات المؤثرة باعتبارها عوالم دخيلة تمسح ذاكرة الانسان وتتحكم في وعيه الداخلي وهي أقوى من الاسلحة الصلبة التي تنتجها الدول للتحكم في مقدرات الدول المستهدفة.

الثقافة والفنون والتفاعل الاجتماعي

إن الثقافة والفنون دائما ما يعاد تشكيلهما على وفق اتصالهما بالعالم الخارجي عن طريق التفاعل الاجتماعي والفهم التام والعميق للثقافة الشعبية بوصفها سجلاً لمسيرة الانسان وانجازاته ، فضلا عن انتقاء العنصر أو الجزئية القادرة على البقاء والاستمرار فليست كل جزئيات الثقافة المحلية وعناصرها جديرة بان توظف توظيفاً فنياً ، بل هناك عناصراً وجزئيات في الثقافة ذات قابلية أكبر على استيعاب الرمز وحمل الدلالة القادرة على التداخل مع الثقافات الوافدة ووسائل تواصلها الجديدة بغية تفاعل الحاضر المتجدد والمتغير في كل لحظة مع الماضي المحلي الذي يمتلك العمق والأصالة تفاعلاً خلاقاً مبدعاً في اطار العمل الفني.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

القوة الناعمة في الفنون الحديثة

تعد القوة الناعمة من الوسائل الخطرة جدا على تفكير الشباب لما تحمله من وسائل وطرق تثقيفية وتوجيهية عديدة ومتنوعة قد لا يشعر بها المتلقي مما تؤثر بشكل مباشر او غير مباشر على وجود ذلك المتلقي ومنه الأسرة العراقية لذلك فالموضوع يتطلب تدخل كل المؤسسات الاجتماعية والدينية في تبني برامج علمية ورؤى تربوية للتصدي لهذه القوة الناعمة التي تعد أسرع وسيلة ناعمة لا تثير الضوضاء وتؤثر بشكل مباشر في البناء الفكري لعقول الشباب من خلال الهدم وزرع الفساد والانحرافات الخلقية والفكرية واساليب الحصول على المخدرات والمؤثرات العقلية، فكل ذلك يتحتم علينا الوقوف بشكل حاسم للحفاظ على الشباب والاسر العراقية من تلك القوى الناعمة الغربية القادمة لتدمير الأواصر الاجتماعية و الدينية ثم أن هؤلاء الشباب في هذه المرحلة يعولون على التفكير الذاتي والشخصي ويرون العالم وفق منظورهم الشخصي وتجاربهم الشخصية لذلك فهؤلاء الفتية انتقائيين في تجميع المعلومات والتركيز على مفاصل محددة بعيدا عن فهم التفاصيل الكاملة والدخول في حيثيات كل منتج فني، فتزداد لديهم مهارات التخيل والابتعاد عن المواجهة الشخصية وكشف الوجوه بقصد اللعب على أخذ أدوار غير واضحة وغير ومفهومة لهم لأنهم غير قادرين على مواجهة النتاج الفني الغربي الذي تصدره الدول الغربية لأبنائنا ، حيث أصبحت المراكز الفنية والثقافية عاجزة عن تكريس تلك المبادئ والقيم في النفوس بفعل تلك التحديات الداخلية والخارجية التي تواجهها مجتمعاتنا المعاصرة في غياب الوعي الثقافي والديني أو هشاشته.

ومن خلال ما تقدم يمكن أن نعد القوة الناعمة في الأعمال الفنية هي جوانب غير مرئية محسوسة غير ملموسة تتحكم بالعواطف والقيم المبثوثة داخل العمل الفني والتي تعمل على تعميق الفهم بقصد تحفيز المتلقين لإنتاج عواطف وافكار تزيد من فهم العمل الفني وتزيد الترابط بينه وبين المتلقي ، لذلك تعد القوة الناعمة من أخطر الوسائل على الأطفال والمراهقين العراقيين لما تحمله من أهداف وبرامج تستطيع من خلالها أن تؤثر على تفكيرهم ، وهذا التفكير ينعكس على الاسرة العراقية التي حافظت على كيانها وجودها عبر عقود من الزمن وهذا ايضا وقد لا تستطيع أن تحافظ عليه حتى المؤسسات الدينية على عظم قوتها وتأثيرها وما تقوم به من برامج وانجازات علمية ورؤى تربوية وتثقيفية.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة

اتجاهات تشخيصية للقوة الناعمة

القوة الناعمة أصبحت كالسلاح النووي في التأثير على المجتمعات البشرية عن بعد وهي وسائل اندمجت مع الشخصية الانسانية حتى بات لا يمكن الاستغناء عنها بل تعد مكملة للشخصية وأصبحت مخترقة لكل العقول وتوجههم بالطريقة المناسبة التي تريدها خلافا للأعراف والنظم الاجتماعية والدينية بهدف تحقيق أغراض المستعمر الجديد ، وعليه فلابد من تحديد وتحييد خطر هذه الوسائل على الشباب والمجتمع بشكل عام و وضع ضوابط الاستخدام المعرفي الصحيح لها ، و لابد ان تواجه أيضا بموقف اعلامي وثقافي وديني باستخدام نفس وسائلهم ولغاتهم التي أرادوا منها تفكيك أواصر المجتمعات بخلق تقنيات حديثة وعولمة المجتمعات لجعلها قرى صغيرة يتحكم بها الانترنيت الذي أصبح جزء أساسيًا من التواصل اليومي للمواطن بحجة الترفيه والضرورة ، إلا أن هناك نوايا سلبية أخرى لابد من إدراكها والتعامل معها بشكل حذر، الأن الإفراط في استخدام هذه الوسائل يؤدي الى العزلة والاغتراب النفسي بين ذوات المواطنين وبين أقرانهم ومجتمعاتهم بحجة التقريب بين المواطنين البعيدين مكانيًا عنهم واختصار المسافات لتشعرهم بالقرب النفسي مع عوائلهم واصدقائهم الذين يعيشون خارج الوطن، تلك هي صفات ايجابية تحملها اغلب افلامهم السينمائية الموجهة وجاءت بأساليب تلامس احتياجات الناس لكنها في النهاية تؤدي الى انحراف قيمي وديني واخلاقي وانجذاب نحو هذه الدول الكبرى لإضعاف الشعور بالوطنية والانتماء عند المواطن ونشر المخدرات وتهشيم أواصر العوائل والابتعاد عن قيم الدين وحب الوطن.

استراتيجيات مواجهة القوى الناعمة

إن التوظيف الاستراتيجي لمواجهة هذا الغزو باعتباره قوة ناعمة لن يكتب له النجاح دون تعزيز القيم والمثل وإقرار قوانين محلية تنظم استخدام هذه الوسائل من الداخل وكيفية التأثير به والابتعاد عنه ليكون موازيا للفعل الخارجي الذي يحمل قيما وجهودا صرفت لها أموال طائلة لغرض جذب هؤلاء الشباب ، ولابد أن تكون هناك قوة ناعمة تنافسية تعتمد الثقافة والفنون كوسائل مؤثرة تستخدم أساليبًا علمية مميزة تحاول اصلاح الضعف الداخلي وتقويته ليصبح قوة صلبة والتعاطي معها بالقوانين الداخلية وإثارة الوعي الثقافي لدى الشباب وتعظيم القيم الدينية والاجتماعية من خلال الخطب الدينية والمدارس والتعليم واستحداث منصات اعلامية ثقافية تعنى بتوعيه الشباب من مخاطر الاستخدام السلبي لوسائل التواصل الاجتماعي والإفادة من إيجابياته.

00964- 7710122232 Alfaidcenter2011@gmail.com العراق - بغداد - الكرادة